المذاكرات الجغرافيّة في الاقطار السوريّة

للاب هنري لامنس مدرّس التاريخ والجغرافية في المكتب الشرقي

٢ موقع سوريّة (تابع)

من اراد ان يدرك ما اكسب سوريّة سابقًا حسن موقعها من المنافع الاقتصاديّة حيث كانت الطريق الواصلة بين الشعوب يجب عليهِ ان يجرّد فكرهُ عمّا استفدناهُ اليوم من الاحوال الحاضرة وترقّي المواصلات البحريّة التي افتتحت في عهدنا الطريق اللاحبة التي تضمّ الامم العاملة الى بعضها كما صرّح بذلك آخرًا جلالة الملك ليوبلد الثاني ملك بلجيكة

إن اقرب الطريق وآمنها لتجارة الهند قبل اكتشاف رأس الرجاء الصالح انّما كانت الطريق البريّة على مسير وادي الفرات . اما في وقت الحروب فكثيرًا ما كانت تنسدّ هذه الطريق المثلى بين البحر المتوسّط وخليج العجم في وجه القفول التجاريّة فتستبدلها بطريق اخرى كثيرة العقبات ذات اخطار جمّة وهي طريق بحر القلزم او جزيرة العرب لكنّ هذا البحر لم يتجاسر احد ان يتجشّم اخطارهُ قبل أن يتوفّق هيبالوس الى اكتشاف الرياح المنظّمة التي تُعرف بالمواسم (١ وذلك في القرن الاوّل للمسيح ومذ ذاك الحين فقط جرت بحرًا معاملات بين الهند وسواحل اليمن ومرافئ بحر القلزم

اما الطريق البريّة التي كانت تقطع صحاري العرب هي التي اكسبت اهل الجزيرة غنًى وازدهارًا لا سيّما السابئين والنبط والحميريين والقريشيين

والفضل كلّ الفضل للفينيقيين اذ سبقوا فادركوا ما للطريق البريّة من عظم الشأن فانّ ثروة الهند ومرافق الشرق الاقصى ما كانت لتجد سبيلًا اوفق تجري فيهِ لتبلغ الى مركز العالم المتمدّن . وادركوا فوق ذلك انهُ اجدى اليهم ربحًا لو استلموا تلك المحصولات الجليلة في محطّاتها البعيدة ليخفّفوا بذلك عناء القوافل ويقتصروا بعض المراحل من طرقها الطويلة رغبةً في ضبط البضائع والتصرّف فيها قبل غيرهم . ومما فُطر عليهِ آل

(١ هي رياح تتناوب من الغرب الى الشرق ستّة اشهر ثم تُنعكس ستّة اشهر اخرى . والمرجّح انّ الافرنج استعاروا لفظة « mousson » مَوْسِم من العربيّة بواسطة اللغات الايبريّة . اطلب شروحنا في كتابنا « *Remarques sur les mots français dérivés de l'arabe* »

فينيقية ارتياحهم الى الدلالة فانهم كانوا نعم السماسرة يتوسّطون بين الباعة والمشترين ولا يريدون بينهم وبين الباعة وسيطاً فتتضاعف بذلك ارباحهم اذ يشترون رخيصاً ويبيعون غالياً فعليهم المعوّل في كلّ المعاملات التجاريّة لا يزاحمهم فيها احد ولا يقف المراقب على حقيقة متاجراتهم وبذلك اضحوا ارباب التجارة يدركون كنه اسرارها ولا يفوتهم شيء من وجوهها

وهذه المتاجرات عينها حدت بالفينيقيين الى تجهيز القوافل البرّيّة وقيادتها فنالوا بذلك قصبة السبق على من سواهم. لانّ الطرائق التجاريّة في سالف الازمان كانت مباينة لطرائقها اليوم (١ فكانوا اذا ارادوا تصريف بضائعهم انتقلوا مع القوافل الى حيث يرومون بيعها فيدرسون كلّ بلد ويتعلّمون لغتهُ ويختلطون باهلهِ ويفقهون عجرهُ وبجرهُ وكلّ ذلك لتتيسّر لهم المتاجرة وتزيد ارباحهم. وذلك على خلاف ما نرى اليوم بعد اكتشاف السكك الحديديّة والبواخر فانّ البضائع تصل الى طالبيها دون ان يحتاج البائع الى ان يرافقها

وكان تدبير القوافل الفينيقيّة يقتضي درايةً عظيمة وحذقاً بليغاً في المعاملات. ومما كان يترتّب على رئيسها ان يُحسن نظامها ويؤلّف قلوب اصحابها ويجمع قواهم لنجاح المشروع كما انهُ كان يسعى في طريقهِ بان يكسب ثقة الاهلين ويتقرّب من امرائهم وينتهز الفُرص اللائقة لمبايعتهم ويتعرّف ما يروج عندهم من الاسواق. وخلاصة القول كان يتّخذ كلّ المداومات اللازمة التي تزيد ثروتهُ وتوفّر ارباحهُ. وهكذا قد وصف لنا كتبة العرب تجّار القريشيين في القرن السابع للميلاد (٢ وفي مقدّمتهم ابو سفيان الشهير. قال ابن الاثير في اسد الغابة في تعريف الصحابة (٥ : ٢١٦) : « كان (ابو سفيان) تاجرًا يجهّز التجّار بمالهِ ولموال قريش الى الشام وغيرها من ارض العجم وكان يخرج احياناً بنفسهِ وكانت اليهِ راية الرؤساء التي تسمّى العقاب واذا حميت الحرب اجتمعت قريش فوضعتها بيد الرئيس »

والافادات السابق وصفها التي نالها الفينيقيّون في رحلهم واسفارهم البرّيّة والبحريّة توسّلوا بها لترقية تجارتهم وصناعتهم وتوسيع نطاقهما فانهم بصائب نظرهم وتهافتهم

١) H. Winckler: *Keilinschriften*, p. 169

٢) اطلب كتاب العلّامة مرغوليوث (Margoliouth: *Mohammed* p. 1)

على الاعمال واحتكارهم للتجارة البرية والبحرية بلغوا في آخر الطور اليوناني الروماني مبلغاً راقياً فكأني بهم جعلوا في زمانهم الطرق الجائزة في سورية الشمالية وفي سورية الوسطى وفي بادية الشام نفسها بمثابة ترعة سويس في عهدنا. وكانت بور سعيدهم تدمر الّا انّ تدمر كانت وقتئذٍ ملكة الصحراء تميس في مبانيها الفاخرة ومحاسنها الساحرة ليست كبور سعيدنا التي هي عبارة عن مدينة مستحدثة لا يُرى فيها غير حوانيت الباعة ومكاتب الحسبة ومقامات المتاجرين بل كانت تدمر مزدانة بالهياكل تأخذ بالابصار اروقتها البديعة وتماثيلها المحكمة الصنع مما يخلب القلب ولا تجد له اثرًا في بور سعيد

فدعنا بعد هذا نمتع النظر بحسن وضع سورية وبموقعها الجغرافي الفريد ونحن نجدها في مفرق الطرق التجارية التي كان يسلكها العالم القديم فانها كانت قريبة من البرزخ الذي يصل آسية بافريقية بين وادي النيل ووادي الفرات وهناك كانت اعظم امم تلك الاعصار وارقاها في التمدّن. وسورية في وسطها تبعد مسافة يوم عن تخوم مصر وتكاد تتّصل بمملكة اشور عند مجرى الفرات الغربيّ حيث يلتوي فيقترب من البحر. فانّ هذا النهر متاخم لسورية عند موقع قرقيش القديمة في المقام المُعدّ لقطع سكّة بغداد حيث لا يبعد عن البحر المتوسط في خطّ مستقيم اكثر من ١٥٠ الى ١٦٠ كيلومترًا. فما اسهل ما كان على الفينيقيين ان يقبطّنوا وادي الفرات فيتبعوا بطائحهُ الى ان يبلغوا خليج العجم المتّصل بها. وكانت ضفاف الفرات في تلك القرون حافلةً بالسكان متوفرة المدن التي لا تزال آثارها ظاهرةً الى يومنا. وقد شهد على عمران تلك الجهات احد جغرافيي اللاتين يُدعى بمپونيوس ميلا (Pomponius Mela, III, 12) حيث وصف غنى الامم التي تقطن شمالي سورية وقد نسب ثروتها «الى خصب مراكزها وكثرة انهارها التي تجري فيها السفن فتسهل بها المبادلات التجارية»

فترى من ثمّ انّ سورية كانت بموقعها العجيب اهلًا بان تصبح مركزًا لملائق العالم القديم او قل بالحري انّ الله جعلها رائدًا للتمدّن ووصلةً بين الامم العادية اي المصريين والكلدان والامم الوسطى من يونان ورومان اجداد عالمنا المستجدّ. ولو رقينا في سلّم الاعصار الى اوائل القرون المتوسطة وجدنا اهل سورية يتأثّرون اعقاب آبائهم فيتوسّطون بين الغرب واواسط آسية فهم الذين ادخلوا التمدّن اليوناني في مدرستي نصيبين وجنديسابور كما انّهم جلبوا الى الغرب مراقي تلك البلاد

فمن كلّ ما سبق لا يبقى للقارئ ريب في انّ اهل سوريّة بتفرُّغهم للمبايعات وبتنقُّلهم في انحاء البرّ والبحر كانوا الرباط الوثيق بين سواحل البحر المتوسط والبلاد النازحة عنهُ ومزجوا مزج الماء بالراح الشرق العتيق بالغرب المترعرع. نعم انهم كانوا قبل كلّ شيء يعملون لاغراضهم ومصالحهم الخصوصيّة الّا انّ عملهم هـذا كان يفيد الشعوب ايضاً فيعتم ما تكلّ منها من المحاصيل ويخرجها من عزلتها فينتفع كلّ شعب ممّا اصابهُ الآخر سواء كان في الماديّات او في الامور العقليّة والادبيّة والدينيّة. وفي هذا لعمري جلُّ الفائدة لا سيّما في تلك الازمنة التي كانت الشعوب لا تعرف بعضها الّا في ساحات القتال. فالفينيقيون نقلوا الى الغرب تمدُّن وادي النيل والفرات وعرّفوا اهل تلك البلاد بمحصولات مصر وما بين النهرين واعمالهما الصناعيّة بعد أن اخرجوها على هيئة جديدة توافق احوال الغربيين وتناسب حاجاتهم. ولعلّهم اثاروا في قلوب تلك الشعوب الجديدة رغبةً في الترقّي والنجاح ومهّدوا الطريق للفنون والآداب بين اليونان الذين ما كانوا ليبلغوا ذروة الكمال في الفنون الجميلة لولا توسّط الفينيقيين فانّهُ من المقرّر انّ التمدُّن اليوناني لم ينشأ بغتةً على غير استعداد وبدون تمهيد وانّما بُني على اساس سابق تقدّمهُ زيد تمدُّن امم الشرق. وفضل الفينيقيين انهم كانوا حلقةً لذلك الترقي القديم الى اليونان. فأغنوا الغرب بمحصولات الشرق وبمصنوعات الشام فانتبهت قرائح الغربيين الى مجاراتهم ومزاحمتهم في العمـل بعد ان اعملوا النظر في نحت التماثيل والدمى وفي حفر الحجارة الكريمة وفي صياغة الجواهر كما استلبها الفينيقيون من اهل مصر وبابل فزادوها تحسيناً. فهذه المصنوعات الفينيقيّة كانت للغربيين كالقاح لاذهانهم وشحذ لافكارهم أدّى بهم بعد قليل الى تلك العجائب الصناعيّة التي تفرّد بها اليونان بعد زمن. وان قيل انّ الفينيقيين لم يطلبوا في ذلك غير الربح والمكسب فنجيب انّ فائدتهم الخاصّة لا تنفي الخدَم التي ادّوها لغيرهم. والخدمة خدمةٌ ولو طُلب منها منفعة (١ ولعلّ الكتبة لم ينسبوها قبلًا للفينيقيين لزعمهم انّ الفينيقيين كانوا تجاراً لا يهتمّون بالفنون كألوف عادة التجار وجلهم تأثير الصناعة الشرقيّة بالصناعة اليونانيّة

وقد اراد الله ان يعظّم هذه الدعوة الشريفة التي خوّلها للفينيقيين ليكونوا وسطاء وناقلةً للموادّ التجاريّة وللامثلة الصناعيّـة بان جعلهم سامرة الافكار كما جعلهم

(١ اطلب تاريخ التجارة (Speck: *Handelsgeschichte*, I, 414, 426)

مخاسرة الاموال ليُعدّوا الشعوب الجديدة لقبول الآداب والعلوم. ومهما قلنا في إطرائهم فاننا لن نبالغ وذلك ليس فقط لأنهم بلغوا بتوافلهم الى البلاد النازحة فوصلوا بين اطراف الاقطار واقاصي الاصقاع لكن ايضاً لانهم زوّدوا الشعوب بآلة عجيبة كانت اعظم عامل للتمدّن نزيد صناعة الكتابة وحروف الهجاء.

والحقّ يقال انّ اختراع الابجديّة قد اجدى للبشر نفعاً قد خلّف وراءه الاختراعات التي تتباهى بهـا اعصارنا كفنّ الطباعة واكتشاف فوائد البخار والكهربا. لانّ بهذه الصناعة الكتابيّة انفتحت للمعارف البشريّة ابواب واسعة اذ بها نستطيع تدوين كلّ لغات العـالم حتى قبل فهمها. بها جرى تقارب عظيم في احوال الشعوب لكنهُ تقارب هادئ؛ سلميّ غايتهُ التحابّ وتقريب الامم من بعضها

يقول الفلاسفة انّ العادة طبيعة ثانية. يريدون انّ الانسان لا يتأثّر ممّا اعتاد نظرهُ وائتلفهُ بالتكرار فانّ العجائب الطبيعيّة التي نراها كلّ يوم تسقط من اعيننا. فكذا قلْ عن اختراع الابجديّة. قال الاب ديلاتر اليسوعي: « ليت شعري ايوجد شيء اعجب من اختراع الانسان لعشرين الى ثلاثين علامة يتمكّن بها على ان يترجم عن كلّ معاني قلبهِ وعواطف نفسهِ » وهذه الطريقة العجيبة في سذاجتها يعود الفضل في اختراعها وان شئت قُلْ في نشرها الى الفينيقيين. فانّهم أبطلوا تلك الطرائق السابقة التي شاعت قبلهم بتوفير الصور الكتابيّة وتمثيل مقاطع الالفاظ ورسم اصوات الكلام التي كان يتيه فيها علماء مصر وبابل. فنابت بحروف الهجاء عن تلك المئات والالوف من العلامات حروف قليلة تؤدّي كل تموجات اللسان في لغات معظم الشعوب القديمة والحديثة

وهنا ايضاً قد لعبت الجغرافيّة دوراً مهمّاً. قـال لوزمان في تاريخ الشرق القديم (ج ١ ص ٤٤٨): « كان ينبغي للشعب المدعوّ لتنظيم الكتابـة البشريّة وتكميلها ونشرهـا ان يكون شعباً تجارياً عاملاً لا يستغني عن مسك الدفاتر وضبط الحسابات التجاريّة ويكون مع هذا متاخماً لمصر موسوماً بسمة التمدّن المنتشر على ضفاف النيل ». ولا نعرف في العالم القديم أمّة غير الأمّة الفينيقيّة كانت تقـوم بهذه الشروط اذ كانوا بموقع بلادهم احقّ من سواهم بان يكونوا قوماً وسطاً متأهبين لنقل محصولات التجارة الى الاقطار البعيدة والسواحل النائيـة وهم مع ذلك مواصلون للاعمال مع مصر جارتهم

وقد نقل الفينيقيون الى البلاد السحيقة ليس فقط حروف الهجاء لتسهيل المعاملات بل كل مصنوعات بابل ومصر مع اعمال صناعتهم الوطنيَّة واضافوا الى ذلك ما نقاره من الادوات المفيدة ومن الحيوانات الداجنة ومن احرار البقول. وقد وجد الاثريون في اقطار غربيَّة شتَّى ما كان اتى به اليها الفينيقيُّون من المعادن وضروب الخشب والصمغ والانسجة والحرفيات وغير ذلك من المصنوعات التي اعدَّت للتمدُّن القبائل الغربيَّة المستوطنة للغابات. وقد جرى السوريون على هذه الطريقة في نقل اختراعات الشرق ومحصولات التمدن نحو الف سنة حتَّى اثَّر مثالهم في قلوب اولئك السكان فاخذوا ينهجون منهجهم ويتعقَّبون مدارجهم

قال بيونيوس ميلا السابق ذكرهُ (ك ١ ف ٢): «ان الفينيقيين قوم جهابذة حذَّاق يحسنون آداب الحرب ويستفيدون من منافع السلم. هم الذين وضعوا حروف الهجاء فاستخدموها لاعمال شتَّى واخترعوا فنوناً عديدة وهم ايضاً الذين سبقوا الى خوض البحار وتقدَّموا الشعوب في الحروب البحريَّة»

جاء في كتاب حديث للعلَّامة فكتور بيرار دعاهُ «الفينيقيون والاوديسَّة» (V. Bérard: *Les Phéniciens et l'Odyssée*): انَّ جغرافيَّة منظومة اوميروس الاوديساة مبنيَّة غالباً على المعلومات التي استفادها ذلك الشاعر المفلق من الفينيقيين». ثم استشهد لتأييد قوله بالجغرافي سترابون حيث قال: انَّ الفينيقيين ارشدوهُ الى معرفة وصف البلدان (οἱ γὰρ Φοίνικες ἐδήλουν τοῦτο). وكتاب المسيو بيرار مشحون بالتفاصيل والادلَّة المثبتة لسيطرة الفينيقيين على البحار (اطلب المشرق ٩: ٢٣٤)

ولما اراد سنَّاحريب ملك اشور ان يجهِّز لدولته اسطولاً بحريًّا في الخليج العجميّ لم يجد من يقوم بعمله غير الفينيقيين. قال في احدى كتاباته: «قد اقمتُ في نينوى رجالاً من الحثيين (وكان الحثيون من سكان سوريَّة) أسرهم قومي فعمَّروا لي مراكب كبيرة على مثال بلادهم فجهَّزتُها باللَّاحين الصوريين والصيدونيين الذين قبضتهم يدي»

وقد حفظ اهل فينيقية السيادة على البحار حتى في عهد اليونان بعد فتوحات الاسكندر الذي جرى على مثال سنَّاحريب في تجهيز المراكب. وقلَّما تجد في تواريخ اليونان كاتباً يذكر سفينةً لا يكون ربَّانها سوريًّا او فينيقيًّا

*

هذا لاهل الشام فخرٌ آخر غير المفاخر السابقة فانهم ليس فقط توسطوا بين الدول القديمة المتمدنة والامم التي منها اشتقّت الشعوب المستحدثة لكنهم ايضاً نالوا امتيازاً آخر فدعاهم الله لتربية العالم الادبيّة والدينيّة فصاروا متوسّطين بين الله والانسان ومن هذا القبيل كانوا هم السابقين لم يأخذوا الامر من سواهم. نعم انّ التمدّن البابلي والمصري كان بلغ في الصنائع والفنون مبانٍ عظيماً والفينيقيون استفادوا من ذلك وافادوا غيرهم لكنّ الفراعنة وملوك اشور كانوا من حيث الآداب والاخلاق بعيدين عن الكمال لا يعرفون من العدل والرحمة غير اسمها فيتسلطون للجور ويتبرون انفسهم بمثابة آلهة يتصرّفون برعاياهم كيف شاؤوا لا يبالون بما ينتظرهم لدى الديّان من المسئوليّة عن اعمالهم. وان كان من بعدهم قد غلب على الشعوب التالية روح الدماثة واضحى التمدّن الجديد مبنيًا على العدل والمحبّة فالفضل في ذلك الى المشترعين الصالحين والى الرسل القديسين والى الانبياء الابرار الذي نشأوا في سوريّة فلسطين وبالاخص الى ذاك الذي كان اكبر من المشترعين واشرف من الانبياء المسيح ابن الله

فانّ لاهوت الخالق وصفاته العجيبة لم تظهر في مكان من الارض ظهورها في سوريّة فلسطين فلاح نور التوحيد فيها ومنها امتدّ الى بقيّة الشعوب فادخلها في طور جديد من الترقّي والفلاح. ولذلك ترى عيون الانسانيّة متّجهة منذ الفي سنة الى تلك البلاد مهد الاديان الموحّدة حيث جرت أحداث التوراة الخطيرة وتجلّى الحقّ سبحانهُ لعباده فغيّرت انوارهُ هيئة المجتمع الانسانيّ

فقد اصاب من دعا سوريّة فلسطين ارضاً مقدّسة. كيف لا وفيها حدثت اعجب العجائب وبها تنوط ذكرى اشرف الاعمال واعظم الرجال بحيث يصحّ القول عنها انهُ ليس فيها شبرٌ ألا وقد صلّى فيها نبيّ. ولو اعتبرتَ اخبار الانجيل الطاهر وحدها وجدت اربعة اخماسها قد جرت في الجليل وليست بلاد الجليل الّا قسماً من سوريّة متّصلاً بفينيقية الجنوبيّة وطالما دخل الجليل في حيّزها وتبعها في حكمها ونظامها. ولو بحثت عن مواطن الرسل الحواريين لوقفت عليها في سواد عكا وصور وكان لهاتين المدينتين مراكز تجاريّة في كلّ ساحل فلسطين. وكما انّ العهد القديم في سفر الملوك الرابع (١٧: ١٩) قد أتسع في اعمال ايليّا النبيّ في تخوم صور كذلك يروى العهد الجديد آثار ابن الله في

سواحل فينيقية بين اهلها الكنعانيين . وزد على ذلك انَّ الكنائس المسيحيَّة الاولى قد نشأت في اواسط سوريَّة وشمالها وانَّ اسم النصارى شاع اوَّلاً في انطاكيَّة وقد صارت تلك الكنائس كمثال حذا حذوهُ من اتى بعدها . وعليهِ يستحقُّ السوريُّون هنا ايضاً ونوع أحرى ان يُدعَوا سباسرة الآداب ودعاة الدين فتقدَّموا على اليونان والرومان الذين مشوا على آثارهم في دعوة العالم الى المسيح (١ . قال مُنتَلَمبرت الخطيب الشهير في كتابهِ عن نسَّاك الغرب (Moines d'Occident, I, 142) « انَّ الدين كما عزَّة السلاح كما فخر الآداب كلّ ذلك قد جرى على سنَّة مقرَّرة راهنة وناموس ثابت فانتقل من الشرق الى الغرب . بدا التمدّن وبدت القوَّة من الشرق على مثال النور وكما ان النور لا يزال يزداد بهاء وحسناً على قدر ما يتقرَّب من الغرب كذلك التمدّن والعزّ زادا في الغرب بعد ان ظهرا في الشرق »

فترى ما لسوريَّة من النصيب العظيم في ترقّي الشعوب فانها هي السابقة والفضل كما قيل للمتقدّم فيجوز لكل رجل ان يعتبر سوريَّة كوطنهِ الثاني لانَّ منها نال حياتهُ الاديبيَّة ان لم ينل حياتهُ الزمنيَّة . ولهذا السبب لم تزل اوربَّة توجّه بالحاظها الى البلاد التي منها اخذت مصدر حياتها العقليَّة والاديبيَّة وكان قدماء النصارى اذا صلَّوا جعلوا الشرق قبلتهم فيوجّهون ابصارهم الى الاراضي المقدَّسة والى الجلجلة وقبر المسيح . وكان ضوء النجر يذكّرهم باسرار دينهم وكانوا يطلبون ان تُدار رؤوسهم الى الشرق في قبورهم لترتاح عظامهم الهامدة بتوجيهها الى منبع ايمانهم . هذا فضلاً عن الوف الالوف الذين لم يرغبوا في حياتهم الَّا شيئاً واحداً زيارة تلك الاماكن المقدَّسة التي شرَّفها ابن الله بحياتهِ وموتهِ فيتجشَّمون لذلك اعظم الاخطار ويقاسون اصناف الاتعاب بجلّ اماتيهم وقصوى بغيتهم . قال أحد هؤلاء الزوَّار في القرن الخامس عشر ابرهارد اللحياني (Eberhard le Barbu) كنت بلاد فرنجستان : « انَّ ثلاثة اشياء لا يجوز الترغيب فيها ولا الردّ عنها وهي الزواج والحرب وزيارة الاراضي المقدَّسة فانَّها كلها ربَّما ابتدأت ابتداء حسناً فتنتهي على غير المرغوب » وفي قولهِ هذا اشارة الى الصعوبات التي

(١ اطلب كتاب هرنك A. Harnack : *Mission und Ausbreitung des Christen-tums* (409-410) وقد اثبت فيهِ اسماء البلدان التي نشأت فيها كنيسة مسيحيَّة منذ القرن الاوَّل للمسيحيَّة

كان يلقاها زوّار ذلك الزمان. على ان هذه الانصاب والمخاطر لم تقوَ على ضبط جماهير الزوّار الذين لم يزالوا منذ عهد قسطنطين الكبير يتواردون بلا انقطاع الى الاراضي المقدّسة كما تشهد على ذلك اخبار رحلاتهم المتعدّدة التي دوّنها في اسفار شاعت في كلّ جهات المعمور وبين كل طبقات الناس (لهُ بقيّة)

أثران لارسطو الفيلسوف في العربيّة

نشرهما الاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ العرب أولعوا باعمال فلاسفة اليونان فاقبلوا على تعريبها بنشاط غريب. لكنَّهم كانوا أولع وانشط في نقل تآليف ارسطو لعلمهم بانهُ رئيسهم وشيخهم والمتقدّم بينهم في كلّ فنون الفلسفة وكثير من هذه التعريبات قد اخذتهُ ايدي الضياع او لا يزال مكنوناً في خزائن المخطوطات اللهمَّ الّا ما استخرجهُ منها بعض أولي الفضل من المستشرقين. وممَّا وقفنا عليهِ في مخطوطات رومية العظمى اثران جليلان نُسبا لسيّد الفلاسفة فنقلهما العرب الى لغتهم. وهذان الاثران وردا في كتاب وُسم بالعدد ٤٠٨ بين مخطوطات الفاتيكان وهو مجموع فيهِ آثار ادبيَّة وفلسفيَّة نقلنا منهُ فصولاً حسنة في المشرق كوصيَّة افلاطون المروقة بالذهبيَّة (٦٠٤:٩) ومقالتهِ في تأديب الاحداث (٦٧٧:٩) ورسالة الفارابيّ في السياسة (٦٤٨:٩). وفي هذا المجموع منهُ نسخة من كتاب الدرَّة اليتيمة لبداقة بن المقفّع التي نشرها صاحب السعادة المير شكيب ارسلان. وتاريخ هذه النسخة الفاتيكانيَّة سنة ٩٣٨ هـ. (١٦٣٢م). امَّا الأثران المنسوبان لارسطو فاوَّلهما عنوانهُ « وصيَّة ارسطاطاليس للاسكندر » والثاني « رسالة ارسطاطاليس الى الاسكندر في التدبير » وكلا الاثرين يحتوي الحكم الطيّبة والوصايا الحسنة المصيبة وتعريبهما بقلم قدماء النَّقلة وترجمة احنا لحنين بن اسحاق الذي لهُ في هذا المجموع تعريبات غيرها تصدَّرت باسمهِ فان قابلت بين انشائهما وانشاء تلك لا تجد فرقاً يُذكر. وممَّا يدلُّ على قدم تعريب هذين الاثرين انَّ صاحب الفهرست ابا الفرج المعروف بابن ابي يعقوب النديم قد ذكر (ج ١ ص ٣٤٧) اسطرًا من الاثر الثاني تجدها بحرفها في مجموعنا وفي ذلك دليل على انَّ هذا التعريب سبق السنة ٣٧٧ هـ التي فيها انجز ابن النديم تأليفهُ. اما صحَّة نسبة الاثرين الى أرسطو فاننا لا نثبتُ بها حكماً ونحن نعلم انَّ آثاراً عديدة نُسبت زوراً لذلك الفيلسوف النطاسيّ وانما نوردها لما يتضمَّنان من التعاليم الحكمية والاقاويل الادبيَّة التي يُسرُّ بها طلبة الآثار القديمة ولعلَّهما من تأليف احد تلامذة ارسطو ان لم يكونا من تأليفهِ وعلى كلّ حال تفيد القرَّاء بانها لم يوجدا في اليونانية في مجموع اعمال ارسطو الذي نشرهُ الطبّاع الشهير فيرمان ديدو (Firmin Didot)

١ وصيَّة ارسطاطاليس للاسكندر

لمَّا اشتدَّت علَّة الملك فيليفوس وتقرَّر الامر للاسكندر ابنهِ قال : ليس الآمر